بسم الله الرحمن الرحيم

● مقدمة الكتاب :

الحمد لله الذى عم برحمته جميع العباد ، وخص أهل طاعته بالهداية إلى سبيل الرشاد ، ووفقهم بلطفه لصالح الأعمال ، ففازوا ببلوغ المراد . أحمده حمد معترف بجزيل الإرغاد[1] وأعوذ به من وبيل الطرد والإبعاد ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدخرها ليوم المعاد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، موضح طريق الهدى والسداد ، قامع الجاحدين والملحدين من أهل الزيغ والعناد ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله الأكرمين الأجواد ، صلاة تبلغه بها نهاية الأمل والمراد .

وبعد : فإنى كنت وقفت مرة على كتاب : « منهاج القاصدين » للشيخ الإمام العالم الأوحد ، جمال الدين ابن الجوزى البغدادى ـ رحمه الله تعالى ـ، فرأيته من أجلّ الكتب وأنفعها ، وأجمعها فوائد ، فحصل عندى بموقع ، ورغبت فى تحصيله ومطالعته ، فلما تأملته ثانياً ، وجدته فوق ما كان فى نفسى ، لكن رأيته كتاباً مبسوطاً ، فأحببت أن أعلّق منه هذا المختصر الذى قد احتوى على أكثر مقاصده ، وجُلّ مهماته وفوائده سوى ما ذكر فى أوائله من مسائل ظاهرة تتعلق بالفروع ، فإنها مشهورة فى كتب الفقه المستفيضة بين الناس ، إذ كان المقصود من الكتاب غير ذلك .

ولم ألتزم فيه المحافظة على ترتيبه وذكر ألفاظه بعينها ، بل ذكرت بعضها بالمعنى قصداً للاختصار ، وربما ذكرت فيه حديثاً أو شيئاً يسيراً من غيره إن كان مناسباً له ، والله أعلم .

وأسأل الله الكريم أن ينفعنا به ، ومن نظر فيه أو قرأه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يختم لنا بخير ، ويوفقنا لما يرضاه من القول والعمل والنية ، وأن يسامحنا فى تقصيرنا ، وتفريطنا ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقه ، فإنه حسبنا ونعم الوكيل .

قال المصنف[2] ـ رحمة الله عليه ـ بعد فراغه من هذه الخطبة : أما بعد : فإنى رأيتك أيها المريد الصادق ، والحازم العازم ، قد وطنت نفسك على التخلى عن فضول الدنيا الشاغلة ، وعزمت على الانقطاع إلى الآخرة ، علماً منك أن مخالطة الخلق توجب التخليط ، وإهمال المحاسبة للنفس أصل التفريط ، وأن العمر إن لم يستدرك أدركه الفوت ، وأن مراحل الأنفاس تسرع بالراكب إلى منزل الموت . فنظرت أى أنيس من

---

(١) الرِّفد : العطاء والصِّلَة ، والإرفاد : الإعطاء والإعانة .

(٢) يعنى ابن الجوزى ـ رحمه الله ـ.

الكتب تستصحبه فى خلوتك ، وتستنطقه فى حال صمتك ، فإذا أنت تؤثر كتاب « إحياء علوم الدين » وتزعم انفراده فى جنسه ، ونفاسته فى نفسه . فاعلم أن فى كتاب « الإحياء » آفات لا يعلمها إلا العلماء . « وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة والموقوفة ، وقد جعلها مرفوعة ، وإنما نقلها كما رآها لا أنه افتراها ، ولا ينبغى التعبد بحديث موضوع ، والاغترار بلفظ مصنوع . وكيف أرتضى لك أن تصلى صلوات الأيام ولياليها ، وليس فيها كلمة قالها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. وكيف أوثر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذى جمعه وندب إلى العمل به[1] ما لا حاصل له من الكلام فى الفناء ، والبقاء ، والأمر بشدة الجوع ، والخروج إلى السياحة فى غير حاجة ، والدخول فى الفلاة بغير زاد ، إلى غير ذلك مما قد كشف عن عواره[2] فى كتابى المسمى بـ (تلبيس إبليس)[3] »[4] .

وسأكتب لك كتاباً يخلو عن مفاسده ، ولا يخل بفوائده ، أعتمد فيه من النقول الأصح والأشهر ، ومن المعنى الأثبت والأجود ، وأحذف ما يصلح حذفه ، أزيد ما يصلح أن يزاد . ثم قال بعد ذلك : وإذ قد صح عزمك على العزلة لاستيفاء حق الحق من النفس ، والأخذ على يدها ، فليكن وكيلك عليها العلم ، وكن باحثاً عن دقائق هواها لعلك تسلم ، واحذر سبيل أحد رجلين :

١ ـ عالم عرف الجدال فى الفقه واقتنع برئاسته ، أو نال القضاء فسعى فى حفظ منزلته ، أو زخرف الوعظ فضيق أعين شبكته .

٢ ـ أو زاهد يتقلب برأيه الفاسد فى جهالته ، ويتقرب بتقبيل يده واعتقاد بركته ، ويعمل بهواه دون شرع الله وسنته .

فهذان عادلان عن منهاج الصواب ، مقتنعان بقشور الأعمال عن خالص اللباب ، خادعان للمبتدئين بلامع السَّراب ، وطريقهما بمعزل عن سنن السلف الصالح الذى هو جادة الاستقامة وطريق السلامة . وسأدرج لك فى هذا الكتاب إن شاء الله من أخبارهم ما يدل على آثارهم .

□ تقسيم الكتاب :

وكتابنا هذا يحتاج إليه المنتهى ، كما يفتقر إليه المبتدى ، لأن فيه أسرار العبادات ، والتحذير من آفات المعاملات . وقد جعله المصنف أربعة أرباع : الأول : ربع العبادات والثانى : ربع العادات . والثالث : ربع المهلكات . والرابع : ربع المنجيات .

وكل واحدة من هذه الأقسام الأربعة يشتمل على كتب ، وأبواب ، وفصول .

---

(١) يعنى الإمام الغزالى . (٢) عواره : عيبه . (٣) أصدرته مكتبة القرآن بتحقيق محمد على أبو العباس .
(٤) ما بين المعقوفتين ليس فى متن المخطوطة بل هو مما هو مُثبت على الهامش .